واعاد عمانوئيل فالد السبب في جمود الفكر العسكري الاسرائيلي الى فترة ما بعد حرب حزيران (يونيو) العام ١٩٦٧، كنتيجة لانتقال احتكار ادارة الأمن من القيادة السياسية الى العسكريين. فقد أدى اعتزال بن ـ غوريون، في مطلع الستينات، الذي رمز الى بداية النهاية لجيل المؤسسين، الى حروب وراثة في صفوف القيادة السياسية، ممّا تسبب في اضعافها، وبالتالي تقليص مكانة «القيادة العريقة» التي بقيت في موقع المسؤولية. وكان جيل الاستمرار، من نواح عدة، نقيضاً لجيل المؤسسين الذي بلغ القمّة، وكان معظم أعضائه من «الذين لم يصلوا الى مستوى أسلافهم وكفاءتهم القيادية. ونتيجة ضعف القيادة السياسية، أصبح الجيش العنصر المهيمن والقائد في المجال الامني، والذي ساهم فيه انضمام قادة عسكريين الى القيادة السياسية»[٨].

وفسّر فالد أسباب ضعف العسكريين في تحديد أهداف سياسية للحرب بعوامل تعود، في جذورها، الى طبيعة عمل العسكريين الروتيني، والخبرات التي يكتسبونها قبل وصولهم الى المواقع العليا في الاركان العامة، والتي تأثّرت باشتغالهم بالروتين التكنو ـ بيروقراطي. ولهذا السبب، «كانوا يفشلون في الادوار القيادية على المستوى الاستراتيجي... ونظراً الى انهم لم يدرّبوا على التفكير الشامل، فانهم سوف يستخدمون في المجال الاستراتيجي، أيضاً، تفكيراً وخبرة تكتيكيين ضيّقين ومحافظين، وسوف يديرون معارك تكتيكية، بدلاً من معارك جبهوية شاملة»[٩].

ومن المفترض ان يخلق مفهوم «الأمن القومي» اطاراً للفكر الاستراتيجي، لأنه يعبّر عن نظرة أمنية تستند الى عقلنة المشكلات الأمنية، والى تقويمات شاملة للوضع. ويجب ان يكون جوهر التقويمات هو فهم الظروف السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلاقات المتبادلة بينها، التي تتطوّر في سياقات تاريخية متتالية. «وبهذا المعنى، لم يكن لاسرائيل، أبداً، مفهوم أمن قومي وفكر استراتيجي. ففي الخمسينات، والستينات، كان لها مفهوم أمني عسكري ضيّق، على المستوى العملياتي ـ التكتيكي؛ ولقد اعتمدت، آنذاك، على تقويم وضع الظروف الاستراتيجية، والجيو ـ سياسية القائمة منذ العام ١٩٤٨»[١٠].

وعلى الرغم من ان القيادة الاسرائيلية حاولت ان تحدّد، لأول مرة، أهدافاً استراتيجية عشية غزو لبنان العام ١٩٨٢، الّا ان تلك الأهداف لم تستند الى معطيات واقعية، بقدر ما استندت الى مغامرة تكتيكية، متجاهلة، تماماً، المعايير المتبعة في تحديد الأهداف الاستراتيجية، ممّا أدى الى فشل مزدوج: عملياتي، تمثّل في غياب الحسم السريع للحرب؛ وسياسي، عبر فشل اسرائيل في فرض اتفاقية سلام مع لبنان، من جهة، والفشل في تحقيق انجازات سياسية على الصعيد الفلسطيني، حيث تعزّز العمل الوطني الفلسطيني في الاراضي المحتلة وتمخّض عنه اندلاع انتفاضة كانون الاول (ديسمبر) العام ١٩٨٧، من جهة أخرى. وبذلك أُحبط أهم، وأخطر، هدف من أهداف الاجتياح الاسرائيلي للبنان العام ١٩٨٢.

عوامل استنفاد النموذج الحالي

يثبت تاريخ النزاع العسكري بين الجيوش العربية والجيش الاسرائيلي ان الوفاء بمتطلبات النظرية الأمنية الاسرائيلية يتطلب رعاية مستمرة لمكوّنات النظرية، والعمل الدائم من أجل المعادلة بين عناصرها كافة.

لقد كانت حادثة اغراق المدمرة الاسرائيلية «ايلات»، بتاريخ ٢١ تشرين الاول (اكتوبر)